

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[453] حجة الإجماع: يعتبر الإجماع أحد الأدلة الفقهية الأربعة، وهو بمعنى اتفاق علماء ومفكري الإسلام حول مسألة فقهية. وذكروا في علم أصول الفقه أدلة مختلفة لإثبات حجة الإجماع، ومن ضمنها الآية الأخيرة التي مرّ البحث في تفسيرها، إذ يعتبرها البعض دلي على حجة الإجماع لأنّها تقول أنّ من يختار طريقاً غير طريق المؤمنين سيكون له مصير مشؤوم أسود في الدنيا والآخرة. وبناء على هذه الآية، فإنّ أي طريق يختاره المؤمنون – في أي مسألة كانت – يجب على الجميع السير في هذا الطريق. والحقيقة أنّ هذه الآية لا صلة لها بمسألة حجة الإجماع، لا من قريب ولا من بعيد (وطبيعي إنّنا نقبل حجّة الإجماع الذي يكشف لنا عن قول المعصوم، يولكننا نعتبر حجة السنة وقول المعصوم دلي لحجة هذا الإجماع، وليس الآية المذكورة). والسبب في عدم قبولنا دلالة هذه الآية على حجة الإجماع، هو أنّها تعين يأو: عقوبات للأشخاص الذين يخالفون الذّبي صراحة وعن علم وإدراك، ويختارون طريقاً غير طريق المؤمنين، فهذان العنصران يشكّان باتحادهما العلّة لذلك المصير المشؤوم، مع التأكيد بأن هذا المصير إنّما يتحقق لدى اختيار الشخص للعنصرين المذكورين عن علم ودراية. وليس لهذا الموضوع أية صلة بمسألة حجة الإجماع، ولا يدل بوحده على هذه الحجة. والأمر الثّاني: هو أنّ المقصود بعبارة (سبيل المؤمنين) الواردة في الآية، هو طريق التوحيد والخضوع لله وحده، وهو مبدأ الإسلام، وليس معناه الفتاوى الفقهية أو الأحكام الفرعية، وهذه الحقيقة يثبتها ظاهر الآية بالإضافة إلى ما قيل في سبب نزولها. والحقيقة هي أنّ السير في طريق غير طريق المؤمنين لا يتجاوز عن كونه